المؤتمر القرآني الدولي الثاني
في هدايات القرآن الكريم

تَعظِيمُ اللهِ تَعَالى
فِي هِدايَات القرْآن الكَريم

تنظيم جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

عنوان البحث

التصوير القرآني للعلاقة بين الإنسان وبين النجوم وأثره في تعميق تعظيم الله تعالى

اسم الباحث

أ/ جمانة بنت خالد بن عبدالله الشيخ حسين

جمانة بنت خالد بن عبد الله الشيخ حسين

التصوير القرآني للعلاقة بين الإنسان وبين النجوم

وأثره في تعميق تعظيم الله تعالى

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام علىٰ من لا نبي بعده.

أمّا بعد؛ فإنَّ الإنسان يمثل عنصرًا مركزيًا في هذا الكون الفسيح، ويرتبط بما حوله من مخلوقات فلا يعيش في بيئة معزولة، وقد صور لنا القرآن العظيم علاقة الإنسان بما حوله -ومن ذلك النجوم-تصويرًا دقيقًا، سواء بالآيات المباشرة، أم بما يستنبط من الآيات من لطائف خفية، وإشارات دقيقة.

ويقدم القرآن طريقة موزونة في التعامل مع هذه المخلوقات العظيمة ويقف وسطًا بين من عظموها لذاتها وعبدوها، وبين من تجاهلوا عظمتها وقيمتها وفائدتها للإنسان فعزلوا أنفسهم في زاوية ضيقة ولم يستشعروا نعمة الله تعالىٰ عليهم.

أهمية موضوع البحث وأسباب اختياره:

تسليط الضوء علىٰ جوانب من الإعجاز القرآني في وصف النجوم، وإبراز دوره في تعميق تعظيم الله تعالىٰ عن طريق ربطه بالهدايات القرآنية.

وإظهار الموقف القرآني الوسطي من هذه النجوم بين من يعظمها لذاتها، وبين من يرىٰ انعزال الإنسان تمامًا عن بيئته الكونية.

خطة البحث:

- المقدمة: وفيها أهمية موضوع البحث، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، والمنهج المتبع فيه، وخطة البحث، وأهدافه.
- التمهيد: العلاقة بين الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وبين الهدايات القرآنية
- المبحث الأول: **التصوير القرآني للعلاقة بين الإنسان وبين النجوم**، وفيه مطلبان:
  - المطلب الأول: أساليب حديث القرآن الكريم عن النجوم وسياق آياتها
  - المطلب الثاني: تصوير النجوم بين القرآن الكريم والعلم الحديث
- المبحث الثاني: **أثر التصوير القرآني للعلاقة بين الإنسان وبين النجوم في تعميق تعظيم الله تعالىٰ**، وفيه مطلبان:
  - المطلب الأول: الموازنة بين الترغيب والترهيب

- المطلب الثاني: لفت النظر إلىٰ الدلالة العقلية علىٰ توحيد الله وقدرته وعظمته

- الخاتمة: وفيها أبرز نتائج البحث، وتوصياته.
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

الدراسات السابقة:

أولًا: كتب في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم تضمنت الحديث عن النجوم أو بعضها، ومنها: من آيات الإعجاز العلمي السماء في القرآن الكريم: د. زغلول النجار، دار المعرفة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

ثانيًا: رسائل علمية حول النجوم أو بعضها أو تناولت مسألة من مسائل هذا البحث، ومنها:

١- الجوانب العلمية في السورة الطارق (رسالة ماجستير): جمانة بنت خالد بن عبد الله الشيخ حسين، المشرف: د. عبد الرحمن بن محمد هشبول الشهري، جامعة الملك فيصل، ١٤٣٧ هـ، وهي تناولت واحدًا من النجوم، وهو الطارق.

٢- تسخير ما في الكون للإنسان علىٰ ضوء سورة النحل وآثار ذلك في توحيد الخالق عز وجل (رسالة ماجستير): زهرية محمد بن صالح الفاداني، المشرف: د. أبو ضيف مجاهد حسن، جامعة أم القرىٰ، ١٤٠٨ هـ، وهي تناولت التسخير والاهتداء، وشملت النجوم وغيرها.

ويتناول هذا البحث بعض المفاهيم التي تدخل في الإعجاز ولم يتم إبرازها من قبل، وربط المفاهيم الجديدة بالهدايات القرآنية، وعلاقتها بتعظيم الله تعالىٰ، وبعض الدراسات فصلت في بيان الإعجاز، وهذا البحث أجمل. مع الاستفادة مما سبق من الدراسات والبناء علىٰ ما توصلت إليه، والاستفادة من دلالتها علىٰ مصادر أخرىٰ.

منهج البحث:

سار البحث علىٰ المنهج الاستقرائي والمنهج الاستنباطي بتتبع آيات النجوم في القرآن الكريم، واستنباط الإشارات القرآنية الدقيقة إلىٰ العلاقة بينها وبين الإنسان، وتوظيف ذلك في استنباط الهدايات المتعلقة بتعميق تعظيم الله عز وجل، مع الاقتصار في كل فقرة علىٰ بعض الأمثلة الدالة عليها.

أهداف البحث:

١- استنباط الهدايات القرآنية من طريقة القرآن في الحديث عن النجوم وبيان علاقتها بالإنسان.

٢- إثبات التوافق بين القرآن الكريم والعلم الحديث في وصف النجوم.

٣- إبراز قيمة بحوث الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في تعميق تعظيم الله عز وجل.

٤- بيان تنوع أساليب القرآن البلاغية في موضوع النجوم وارتباطها بالعقيدة التي يؤسسها.

والله الموفق والهادي إلىٰ سواء السبيل،،

التمهيد: العلاقة بين الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وبين الهدايات القرآنية

يتساءل الكثير: ما مغزىٰ إبراز الإعجاز العلمي في القرآن الكريم؟ وما ثمرته؟

وهل له علاقة بالإيمان؟ فلا يقوم إلا به؟ أم له تعلق بتعميق الإيمان؟

وما الخطوة التالية بعد معرفة جوانب الإعجاز والكشف عنها؟ ماذا سيستفيد القارئ والباحث؟ أم أن الأمر قاصر علىٰ تحصيل معرفة وجوه الإعجاز وحسب؟

إن من أهم ثمرات البحث في الإعجاز العلمي، والسعي للكشف عنه:

ما يورثه في قلب المؤمن من عمق للإيمان، وتقويته، واستشعار حكمة الله تعالىٰ في كل شيء. ولا سيما في جانب دقة المفردات القرآنية، وسعة دلالتها، وشمول معانيها.

ولا يعني هذا أنه يؤسس إيمانًا عند المؤمنين؛ بل الإيمان قائم في نفوسهم أصلًا. فأثره علىٰ المؤمنين يكون في زيادة اليقين وتثبيته. وأما ما يتعلق بغير المؤمنين فيستفاد منه كدليل، يتكامل مع أدلة الوحي الثابتة، والأدلة العقلية الصحيحة، إذا ثبتت صحته، وتم القطع به. مع ضرورة الأخذ بالاعتبار قصور عبارات العلم الحديث عن الوفاء بوصف الحقائق الكونية والعلمية وصفًا دقيقًا، ويظل القرآن مهيمنًا عليها وعلىٰ كل زمان ومكان. فيمكن أن يثمر البحث في الإعجاز العلمي عن هدايات قرآنية مهمّة.

ولذلك؛ فإن العلاقة بينهما علاقة تبادلية، تكاملية، فهو يبرزها، وهي تؤكده، وكل منهما يقوي الآخر ويدل عليه. ولذلك جمع هذا البحث بينهما.

المبحث الأول: التصوير القرآني للعلاقة بين النجوم وبين الإنسان

يراد بالتصوير القرآني هنا: طريقة القرآن الكريم وأسلوبه وسياق آياته وموضوعاتها وإشاراتها العلمية الدقيقة في تصوير العلاقة بين النجوم وبين الإنسان، واختير لفظ تصوير هنا؛ لأن القرآن الكريم حين يخاطب العقلاء، إنما يخاطب فيهم عقولهم، كما يثير فيهم مشاعرهم وأحاسيسهم، بأسلوبه الفذ، وبيانه المعجز، فيجعل المخاطب يتخيل المعنىٰ المجرد صورة ناطقة يتحسس فيها الحركة والحياة[1].

المطلب الأول: أساليب حديث القرآن الكريم عن النجوم وسياق آياتها

من جوانب عظمة القرآن الكريم؛ عظمة أسلوبه الذي يمتاز بـ:

مناسبته للعامة والخاصة، وإرضائه العقل والعاطفة، وجودة سبكه وإحكام سرده، وتعدد أساليبه واتحاد معناه، وجمعه بين الإجمال والبيان، وإيجاز لفظه ووفاء معناه. [2]

وتحدث القرآن الكريم عن النجوم في عدة آيات.

تارة بالتصريح بكلمة نجم، وتارة باسم لعلم من النجوم بعينه، وتارة بوصف، وتارة بالتصريح بارتباطها بالإنسان، وتارة بالإشارة إلىٰ ذلك بما يفهم من السياق.

وتميز كل موضع منها بأساليب تبرز قيمة إيراد النجوم في تلك السياقات وأثرها في تعظيم الله عز وجل، وبيان ذلك فيما يلي:

أولًا: أساليب القرآن الكريم في حديثه عن النجوم:

من أبرز الأساليب القرآنية التي جاءت في آيات النجوم ما يلي:

١-القسم:

يعد أسلوب القسم من أبرز الأساليب التي اقترنت بالظواهر الكونية والأجرام السماوية في القرآن الكريم، وفي هذا الشأن يقول الشعراوي: «يكثر القرآن من توجيه القلب إلىٰ مشاهد الكون بشتىٰ الأساليب في شتىٰ المواضع: تارة بالتوجيهات المباشرة، وتارة باللمسات

---

(١) انظر: الواضح في علوم القرآن: مصطفىٰ البغا، ومحيي الدين مستو (١٦٩).

(٢) انظر: عظمة القرآن الكريم: محمود بن أحمد بن صالح الدوسري (٢٠٨- ٢٢٥).

الجانبية، **كهذا القسم بتلك الخلائق والمشاهد، ووضعها إطارًا لما يليها من الحقائق**، وفي هذا الجزء بالذات لاحظنا كثرة هذه التوجيهات واللمسات كثرة ظاهرة، فلا تكاد سورة واحدة تخلو من إيقاظ القلب؛ لينطلق في هذا الكون يطلب عنده التجاوب والإيحاء، ويتلقىٰ عنه بلغة السر المتبادل ما ينطق به من دلائل وما يبثه من مناجاة»[(١)].

فائدة القسم ودلالته:

القسم لا يكون إلا باسم معظم ويحسن في مقام الإنكار، والله تعالىٰ ليس شيء أعظم منه فأقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته؛ لأنها تدل علىٰ بارئ وصانع، والقسم لا يخرج عن وجهين؛ إما لفضيلة، أو لمنفعة[(٢)]، والمعروف في أقسام القرآن أن تكون بالأشياء العظيمة الدالة علىٰ قدرة الله تعالىٰ، أو الأشياء المباركة[(٣)].

ومن الآيات التي أقسم الله عز وجل فيها بالنجوم:

قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾ [النجم]، وجواب القسم: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ [النجم]، وذكر ابن جرير اختلاف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾، فقال بعضهم: عُنِيَ بالنجم: الثُّريا وعُنِي بقوله ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾: إذا سقط، قالوا: تأويل الكلام: والثريا إذا سقطت[(٤)]، وأقسم بالنّجم لما في خلقه من الدَّلالة علىٰ عظيم قدرة الله تبارك وتعالىٰ[(٥)].

ومن الأمثلة علىٰ القسم بالنجوم في القرآن الكريم:

قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾ [الطارق]، وجواب القسم قوله تعالىٰ: ﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ۝٤﴾ [الطارق].

وذهب بعض المفسرين إلىٰ أن الطارق النجم الثاقب يشمل النجوم جميعها، وقال بعضهم: بل يراد به نجم مخصوص، واختلفوا في تحديده؛ فقيل: هو الثريا، وقيل: زحل.

---

(١) تفسير جزء عم: محمد متولي الشعراوي (٣٨٤).

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي (٣/ ٢٨-٣٠).

(٣) التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور (٣٠/ ١٥٤).

(٤) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ابن جرير الطبري (٢٧/ ٥٢).

(٥) انظر: التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور (٢٧/ ٩٠).

وقيل: الثاقب هو المضيء، أو الذي ارتفع علىٰ النجوم[١]، أو كأنَّه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه[٢]، وقيل في معنىٰ الإضاءة لكلمة (ثاقب): إضاءة نافذة كالخرق، وليس لها انتشار واسع، فهي تشبه الثقب في ستارة سوداء.

ويندرج ضمن هذا الأسلوب؛ القسم بما يتعلق بالنجوم، مثل قوله تعالىٰ: ﴿۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦﴾ [الواقعة]، وجواب القسم قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧﴾ [الواقعة].

فتبيَّن من هذا الأسلوب أن هذه النجوم المقسم بها عظيمة، وأن فيها منفعة، وعظمة المخلوق دالة علىٰ عظمة خالقه، مع ارتباط جواب القسم فيها بالإنسان، أو بالقضايا المهمة المتعلقة به.

٢- الالتفات:

ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦﴾ [النحل].

وفي هذه الآية الكريمة التفات من الخطاب إلىٰ الغيبة، وقيمته: لما كانت الدلالة بالنجم أنفع الدلالات، وأعمها، وأوضحها، برًا وبحرًا وليلًا ونهارًا؛ نبّه علىٰ عظمها بالالتفات إلىٰ مقام الغيبة؛ لإفهام العموم؛ لئلا يظن أن المخاطب مخصوص، وأن الأمر لا يتعداه[٣].

٣- الشرط:

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ٢﴾ [التكوير]، وجواب الشرط قوله تعالىٰ: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ١٤﴾ [التكوير].

والافتتاح بإذا افتتاح مشوق؛ لأن (إذا) ظرف يستدعي متعلقًا، ولأنه أيضًا شرط يؤذن بذكر جواب بعده، فإذا سمعه السامع ترقب ما سيأتي بعده، فعندما يسمعه يتمكن من نفسه كمال تمكن، وخاصة بالإطناب بتكرير كلمة: (إذا)[٤].

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ابن جرير الطبري (٣٠/ ١٧٧-١٧٨).

(٢) انظر: الكشاف: جار الله الزمخشري (٤/ ٥٦٧).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين البقاعي (١١/ ١٢٨).

(٤) التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور (٣٠/ ١٤٠).

٤- التقديم والتأخير:

ومن أمثلته قوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [النحل].

وسبقت الإشارة إلىٰ تعظيم النجوم والاهتداء بها في هذه الآية الكريمة بالالتفات إلىٰ مقام الغيبة، وزاد التأكيد بتقديم الجار والمجرور كأنما يشير من طرف خفي إلىٰ أن **دلالة غير النجم ضئيلة** لا يؤبه لها[(١)]. فقدَّم النجم ومحله التأخير؛ للاهتمام به والامتنان علىٰ المخلوقين، وللفت الأنظار إليه والله أعلم.

٥- التعليل:

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنعام].

فاللام في قوله: ﴿لَكُمُ﴾؛ للعلة، وهي تدل علىٰ قصد الامتنان، واللام في قوله: لتهتدوا؛ للعلة، وهي تدل علىٰ حكمة الجعل، وسبب الامتنان، وهو ذلك النفع العظيم[(٢)].

٦- الإدماج:

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [النحل].

وفي هذه الآية الكريمة إدماج بين الاستدلال والامتنان[(٣)].

٧- التفسير بعد الإبهام[(٤)]:

قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾﴾ [الطارق].

فأُبهم الموصوف بالطارق ابتداءً، ثم زِيد إبهامًا مشوبًا بتعظيم أمره، بقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾، ثم بيّن بأنه ﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾[(٥)].

---

(١) إعراب القرآن وبيانه: محيي الدين الدرويش (٤/ ٢٢٨- ٢٢٩).

(٢) انظر: التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور (٧/ ٣٩٣).

(٣) انظر: التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور (١٤/ ١١٦).

(٤) والمراد تفسير الطارق بالنجم الثاقب بعد مجيء الوصف المشترك بينه وبين غيره؛ إظهارًا لفخامة شأنه، انظر: الكشاف: جار الله الزمخشري (٤/ ٥٦٧).

(٥) انظر: التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور (٣٠/ ٢٥٨).

٨- المقابلة:

ومنها قوله تعالىٰ: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [النحل].

وهنا مقابلة بين سبل الأرض وعلاماتها ورواسيها، وبين سبل السماء وعلاماتها الهدائية، وكلاهما يفيد الإنسان في الاهتداء به؛ ولكن هداية النجوم أكبر بكثير. كما تُظهر الآية الكريمة دور الجبال في تثبيت الأرض.

٩- الاستفهام:

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ١٨].

والاستفهام هنا إنكاري، أنكر علىٰ المخاطبين عدم علمهم بدلالة أحوال المخلوقات علىٰ تفرد الله بالإلهية، ويجوز أن يكون الخطاب للنبي صلىٰ الله عليه وسلم، وعلىٰ ذلك يكون الاستفهام تقريريًا(١).

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾﴾ [الطارق]، والاستفهام هنا علىٰ سبيل التفخيم والتعظيم(٢).

١٠- التقسيم:

يُعرّف التقسيم بأنه: استيفاء المتكلم أقسام الشيء، بحيث لا يغادر شيئًا وهو آلة الحصر، ومظنة الإحاطة بالشيء(٣).

ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾ [الطور].

فوقت إدبار النجوم هو أحد أقسام الأوقات التي يُرغّب فيها بالتسبيح في هذه السورة الكريمة، والتي تشتمل علىٰ عدد من الأوقات تجمع اليوم كُلّه، ويربط بينها جميعًا أنها أوقات

(١) انظر: المصدر السابق (١٧/ ٢٢٦).

(٢) انظر: الكشاف: جار الله الزمخشري (٤/ ٥٦٧).

(٣) البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي (٣/ ٢٨٨).

انتقالية؛ إما من النوم إلىٰ اليقظة، أو من اليقظة إلىٰ المنام، أو ما بينهما، وكذلك تشترك جميعًا في كونها أوقاتًا للتسبيح، ولا بد من وجود علاقة بين التسبيح وبين هذه الفترات الانتقالية، ولفخر الدين الرازي كلام لطيف حول علة تخصيص هذه الأوقات بالذكر في مقام التسبيح(١).

١١- الألغاز:

وهو في قوله تعالىٰ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦﴾ [التكوير].

واختُلف في الخُنّس فقيل هي النجوم، وقيل: الظباء، وقيل: تعم في كل ما يخنس ويكنس(٢)، والسياق يرجح أنها النجوم؛ لأنه جاء في الحديث عن ظواهر سماوية، والله أعلم.

وقد حصل من مجموع الأوصاف الثلاث ما يشبه اللغز يُحسب به أن الموصوفات ظباء أو وحوش؛ لأن تلك الصفات حقائقها من أوصاف الوحوش، والألغاز طريقة مستملحة عند بلغاء العرب، وهي عزيزة في كلامهم(٣).

ثانيًا: سياق آيات النجوم في القرآن الكريم

بعد تدبر سياق آيات النجوم يتبين تنوع السياقات التي وردت فيها والتي تحقق جميعها مقاصد القرآن الكريم، ومن أبرزها:

١- سياق التوحيد والقدرة الإلهية:

ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١﴾ [النجم]، ففيه إشعار بأن النجوم كلها مسخرة بقدرة الله فهي مسيرة في نظام أوجدها عليه، ولا اختيار لها، فليست أهلًا لأن تُعبد، فحصل المقصود من القسم بما فيها من الدلالة علىٰ القدرة الإلهية مع الاحتراس عن اعتقاد عبادتها(٤).

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي، وكان هذا في حديثه عن آيات سورة الروم (١٧- ١٨)، (١٣/ ١٠٢- ١٠٣)؛ وأشار بدر الدين الزركشي إلىٰ هاتين الآيتين الكريمتين (١٧-١٨ من سورة الروم) ضمن أمثلة التقسيم، انظر: البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي (٣/ ٢٨٨).

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ابن جرير الطبري (٣٠/ ٩٤-٩٨).

(٣) التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور (٣٠/ ١٥٣).

(٤) انظر: التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور (٢٧/ ٩١).

وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنعام: ٩٧]، والمقصود الأول من هذا الخبر الاستدلال علىٰ وحدانية الله تعالىٰ بالإلهية، والمخاطبون لا ينكرون كون خلق النجوم من الله، وكونها مما يُهتدىٰ به؛ **ولكنهم لم يجروا علىٰ ما يقتضيه من إفراده بالعبادة**[١]، وهو من الدلائل الدالة علىٰ كمال القدرة والرحمة والحكمة وهو أنه تعالىٰ خلق هذه النجوم لمنافع العباد[٢].

وكذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [النحل]، فقد جاء بعدها قوله تعالىٰ: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل].

والمعنىٰ: أفمن يخلق هذه الأشياء التي ذكرناها كمن لا يخلق؛ بل لا يقدر ألبتة علىٰ شيء أفلا تذكرون؟ فإن هذا القدر لا يحتاج إلىٰ تدبر، وتفكر، ونظر[٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف].

والخطاب موجه إلىٰ المشركين ابتداءً، ولذلك كان التأكيد بحرف (إن) موقعه لرد إنكار المشركين انفراد الله بالربوبية، وإذ كان ما اشتملت عليه هذه الآية يزيد المسلمين بصيرة بعظم مجد الله وسعة ملكه، ويزيدهم ذكرىٰ بدلائل قدرته؛ كان الخطاب صالحًا لتناول المسلمين لصلاحية ضمير الخطاب لذلك[٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [الواقعة] ولما كان المقام للتعظيم قال: (العظيم) الذي ملأ الأكوان كلها عظمة، فلا شيء منها إلا وهو مملوء بعظمته تنزهًا عن أن تلحقه شائبة نقص، أو يفوته شيء من كمال، قال القشيري: وهذه الآيات التي عددها سبحانه تمهيدٌ لسلوك طريق الاستدلال[٥].

---

(١) انظر: المصدر السابق (٧/ ٣٩٣).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي (٧/ ٩٢).

(٣) انظر: المصدر السابق (١٠/ ٢٢٥).

(٤) التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور (٨/ ١٥٩).

(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين البقاعي (١٩/ ٢٣٢).

ومواقع النجوم يجوز أن تكون محال وقوعها من ثوابت وسيارة، ويجوز أن يطلق الوقوع علىٰ السقوط أو الهوي أو الغروب؛ لأن تلك المساقط في حال سقوط النجوم تُذكّر بالنظام البديع لسيرها كل ليلة لا يختل ولا يختلف(١).

٢- سياق البعث واليوم الآخر:

مجيء مراحل زوال النجوم في ظرفية إذا تحققت؛ كانت علامة علىٰ قرب يوم القيامة، ووقوعه، ويمكن أن يراد بها هنا الترهيب والتخويف من تغير الاستقرار الذي كانت عليه، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾[التكوير]، وقال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨﴾[المرسلات: ٨].

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في معنىٰ انكدرت: تغيرت، وعن قتادة: تساقطت وتهافتت(٢).

أو أظلمت، من: كدرت الماء فانكدر(٣)، والكدرة: ضد الصفاء، كتغير لون الماء ونحوه(٤)، ففيه تشبيه انطماس نورها بتكدر الماء الذي لا يبقىٰ معه صفاؤه ورونق منظره، وظاهر أن النجوم لا تشمل الشمس، وقيل: تشملها، وذكرها بعدها تعميم بعد تخصيص(٥)، وذكر الطبري في معنىٰ طُمست: فإذا النجوم ذهب ضياؤها فلم يكن لها نور ولا ضوء(٦)، وذكر الزمخشري أن طمسها يعني: محق ذواتها(٧).

ولما بدأ بأعلام السماء؛ لأنها أشهر وأعم تخويفًا وإرهابًا، وذكر منها اثنين هما أشهر ما فيها وأعمها نفعًا؛ أتبعها أعلام الأرض فقال مكررًا للظرف لمزيد الاعتناء بالتهويل: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ﴾[التكوير: ٣] أي التي هي في العالم السفلي كالنجوم في العالم العلوي، وهي أصلب ما في الأرض(٨).

---

(١) انظر: التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور (٢٧/ ٣٣٠).

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ابن جرير الطبري (٣٠/ ٨٣).

(٣) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين البقاعي (٢١/ ٢٧٦).

(٤) انظر: التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور (٣٠/ ١٤٢).

(٥) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين الآلوسي (١٤/ ٣٥٠).

(٦) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ابن جرير الطبري (٢٩/ ٢٨٤).

(٧) انظر: الكشاف: جار الله الزمخشري (٤/ ٥١٧).

(٨) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين البقاعي (٢١/ ٢٧٦).

وهنا لطيفة في الفرق الدقيق بين الطمس وبين الانكدار، يدل عليها السياق، وآيات الجبال، فالانكدار يكون قبل الطمس[١]، وتشير سورة التكوير إلىٰ انكدار النجوم، وتسيير الجبال، وهو متعلق بقرب النهاية، وفي سورة المرسلات طمس النجوم، ونسف الجبال، أي إزالتها بالكلية، ودلالة النسف في الزوال الكلي أظهر من دلالة التسيير، والطمس أبلغ في الدلالة علىٰ تحقق الانتهاء؛ لأنه يعني محق ذواتها أو ذهاب ضوئها بالكلية بينما الانكدار يعني التغير في المادة أو اللون.

٣- سياق الاستدلال علىٰ صدق القرآن والنبوة:

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٤].

وهنا لطيفة في التناسب بين النجم الذي يُهتدىٰ به، وبين الهادي البشير الذي لم يضل.

وبيّن فخر الدين الرازي أنه بناء علىٰ القول بأن النجم في هذه الآية الكريمة هي النجوم التي في السماء للاهتداء، وأن بها الاهتداء في البراري، فأقسم الله بها لما بينهما من المشابهة والمناسبة[٢]، يريد بذلك مناسبة القسم بالنجوم لجواب القسم. ولما أقسم الله تعالىٰ بالنجم شرّفه وعظمه، وكان من المشركين من يعبده، فقرن بتعظيمه وصفًا يدل علىٰ أنه لم يبلغ درجة العبادة؛ فإنه هاوٍ آفل[٣].

والهُوِي: السقوط، أُطلق هنا علىٰ غروب الكوكب، ويجوز أن يكون الهُوِي سقوطًا حقيقيًا، كسقوط الشهب[٤].

٤- سياق الامتنان بالمنفعة والنعمة ومنه التسخير والاهتداء:

ومن التسخير قوله تعالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝١٢﴾ [النحل].

---

(١) أشار د. زغلول النجار إلىٰ تقدم مرحلة الانكدار علىٰ مرحلة الطمس. انظر: السماء في القرآن الكريم: د. زغلول راغب النجار (٢٦١).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي (١٤/ ٥٣٩).

(٣) انظر: المصدر السابق: (١٤/ ٥٤٠).

(٤) انظر: التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور (٢٧/ ٩١).

والآثار العلوية أظهر دلالة علىٰ القدرة الباهرة وأبين شهادة للكبرياء والعظمة(١).

وهذه آيات علىٰ دقيق صنع الله تعالىٰ وعلمه ممزوجة بامتنان، وهذا انتقال للاستدلال بإتقان الصنع علىٰ وحدانية الصانع وعلمه، وإدماج بين الاستدلال والامتنان، ونيطت الدلالات بوصف العقل؛ لأن أصل العقل كافٍ في الاستدلال بها علىٰ الوحدانية والقدرة؛ إذ هي دلائل بينة واضحة حاصلة بالمشاهدة كل يوم وليلة، وقرأ حفص برفع النجوم ومسخرات مع قراءة ما سبقها بالنصب، ونكتة اختلاف الأسلوب؛ الفرق بين التسخيرين، من حيث إن الأول واضح، والآخر خفي؛ لقلة من يراقب حركات النجوم(٢).

والتسخير حقيقته تذليل ذي عمل شاق أو شاغل بقهر وتخويف، أو بتعليم وسياسة بدون عوض، ويُستعمل مجازًا في تصريف الشيء غير ذي الإرادة في عمل عجيب أو عظيم، ولذلك قال الله تعالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١٣﴾ [الجاثية]، باعتبار هذا المجاز علىٰ تفاوت في قوة العلاقة، وفي تسخير الشمس والقمر والنجوم: أُطلق التسخير فيه مجازًا علىٰ جعلها خاضعة للنظام الذي خلقها الله عليه بدون تغيير(٣).

ويدل علىٰ ارتباطها بهذا السياق أنها جاءت في سياق التذكير بالنعمة، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨﴾ [النحل]، فقد جاءت بعد قوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧﴾ [النحل].

ومن وجوه الانتفاع بالنجوم: الاهتداء بها، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٩٧﴾ [الأنعام]، أي: جعل لكم النجوم أدلة تهتدون بها إذا ضللتم الطريق في البر والبحر، وعُني بالظلمات: ظلمة الليل، وظلمة الخطأ والضلال، وظلمة الأرض أو الماء(٤).

والاهتداء بها: لتعلموا القبلة وأوقات الصلوات والصيام وغير ذلك من منافعكم دنيا وديناً(٥).

---

(١) انظر: الكشاف: جار الله الزمخشري (٢/ ٥٤٥).

(٢) انظر: التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور (١٤/ ١١٦).

(٣) انظر: التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور (١٤/ ١١٦).

(٤) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ابن جرير الطبري (٧/ ٣٥٦).

(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين البقاعي (٧/ ٢٠٢).

وهذا إفراد لبعض منافعها بالذكر، حسبما يقتضيه المقام، وإلا فهي أجدىٰ من تفاريق العصا، **وهي في جميع ما يترتب عليها كسائر الأسباب العادية لا تأثير لها بأنفسها**[١].

وكذلك الاهتداء في قوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [النحل].

واختلف المفسرون فمنهم من قال: إن الاهتداء مختص بالبحر، ومنهم من قال: بل هو مطلق يدخل فيه السير في البر والبحر وهذا القول أولىٰ؛ لأنه أعم في كونه نعمة، ولأن الاهتداء بالنجم قد يحصل في الوقتين معًا[٢]. وهذه منة بالاهتداء في الليل؛ لأن السبيل والعلامات إنما تهدي في النهار، وقد يضطر السالك إلىٰ السير ليلًا، فمواقع النجوم علامات لاهتداء الناس السائرين ليلًا تُعرف بها السماوات[٣].

ومن وجوه كونها علامات: أنها يُستدل بها علىٰ أوقات الحصاد ومعرفة المواسم وغير ذلك؛ فقد كانوا يوقتون بأزمان طلوع الثريا -وهي أشهر نجم- مواقيت الفصول ونضج الثمار[٤]. وفسر قتادة السبل بالطرق، والعلامات بالنجوم[٥].

والعلامات من الجبال وغيرها: جمع علامة، وهي صورة يُعلم بها المعنىٰ، من خط، أو لفظ أو إشارة أو هيئة، وقد تكون علامة وضعية، وقد تكون برهانية[٦].

٥- سياق الحفظ (حفظ النفس):

ومن ذلك قوله تعالىٰ بعد القسم بالطارق النجم الثاقب: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾ [الطارق].

والنفس هنا يراد بها النفس الإنسانية، والحفظ هو حفظ عملها وإحصاء ما تكسب من خير أو شر[٧].

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين الآلوسي (٤/ ٦٠٦).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي (١٠/ ٢٢٤).

(٣) التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور (١٤/ ١٢٢).

(٤) انظر: التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور (٢٧/ ٨٩)، وقال به في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم:١]، وتم إيراده هنا؛ لمناسبته تفسير العلامات والاهتداء.

(٥) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ابن جرير الطبري (١٤/ ١١٦-١١٧).

(٦) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين البقاعي (١١/ ١٢٧- ١٢٨).

(٧) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ابن جرير الطبري (٣٠/ ١٧٨-١٧٩).

وقيل: الظاهر: عموم كل نفس[١]، أو الأنفس مطلقًا ولا سيما نفوس الناس[٢].

وقيل: الحافظ يحفظ النفوس من المعاطب والمهالك[٣]، ولا مانع من إرادة المعنيين معًا في هذه الآية الكريمة: الحماية والرعاية، إضافة إلىٰ الرقابة والمتابعة؛ فكلاهما له أصل في اللغة، وكلاهما يحتمله السياق، وكذلك القول في تفسير الحافظ[٤].

ولا بد من استشعار معنىٰ جواب القسم هذا، وتقدير النعم التي منّ الله عز وجل بها علىٰ الأحياء، كتسخير ما يحفظهم، ويحميهم من المعاطب والمهالك ومن ذلك الآثار المدمرة لبعض النجوم، التي حفظ الله عز وجل الأرض وحماها منها[٥].

٦- سياق عبادات مخصوصة:

ومنه اقتران النجوم بالتسبيح في عدة مواضع:

ومنها قوله تعالىٰ: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦﴾ [الواقعة]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ٤٩﴾ [الطور].

والتسبيح: التنزيه، والمراد ما يدل عليه من قول، وأشهر ذلك هو قول: سبحان الله وما يرادفه من الألفاظ[٦].

وخصّ بعض الأوقات بالتسبيح؛ وذلك لأن أفضل الأعمال أدومها، ولما كان الإنسان في الدنيا لا يمكنه صرف جميع أوقاته في التسبيح؛ أشار الله تعالىٰ إلىٰ أوقات إذا أتىٰ العبد بتسبيح الله فيها يكون كأنه لم يفتر[٧].

---

(١) انظر: تفسير البحر المحيط: أبو حيان (٨/ ٤٤٩).

(٢) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين البقاعي (٢١/ ٣٧٣).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي (١٦/ ١٣٣).

(٤) انظر: الجوانب العلمية في سورة الطارق (رسالة ماجستير): جمانة بنت خالد بن عبد الله الشيخ حسين، المشرف: د. عبد الرحمن بن هشبول الشهري (١١٠-١١٢).

(٥) انظر: المصدر السابق (١٢٦).

(٦) انظر: التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور (٢٧/ ٨٤).

(٧) انظر: مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي (١٣/ ١٠٢- ١٠٣).

وهي الواردة في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ٤٨ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ٤٩﴾ [الطور].

والباء في: ﴿بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ للمصاحبة جمعًا بين تعظيم الله بتنزيهه عن النقائص، وبين الثناء عليه بأوصاف الكمال. و﴿حِينَ تَقُومُ﴾: وقت الهبوب من النوم، وهو وقت استقبال أعمال اليوم، وعنده تتجدد الأسباب التي من أجلها أمر بالصبر والتسبيح والحمد(١).

وقيل: المراد بالتسبيح حين إدبار النجوم في هذه الآية الكريمة: الركعتان قبل صلاة الصبح، وقيل: صلاة الصبح الفريضة، وقيل: صلاة العشاء، وقيل: صلاة المغرب والعشاء(٢)، وقيل: المراد هو قول: سبحان الله وبحمده في هذه الأوقات(٣).

ولا تعارض بين هذه الأقوال؛ لأن الصلاة تدخل في الأمر بالتسبيح دخولًا أوليًا؛ لكونها تنزيهًا عمليًا لله عز وجل(٤)، ولكونها مشتملة علىٰ التسبيح المنطوق.

وكذلك مجيء النجوم في سياق السجود، والسجود يُطلق علىٰ وضع الوجه علىٰ الأرض بقصد التعظيم، ويُطلق علىٰ الوقوع علىٰ الأرض مجازًا مرسلًا(٥)، أو بمعنىٰ الانقياد، وحينئذ يكون في سياق الخضوع المطلق لسنة الله في خلقه، وكذلك الترغيب في أداء العبادات المفروضة والانقياد لأوامر الله عز وجل، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ١٨﴾ [الحج: ١٨].

فسُميت مطاوعة هذه المخلوقات -ومنها النجوم- لله عز وجل فيما يحدث فيها من أفعاله، ويجريها عليه من تدبيره وتسخيره لها: سجودًا له؛ تشبيهًا لمطاوعتها بإدخال أفعال المكلف في باب الطاعة والانقياد، وهو السجود الذي كل خضوع دونه(٦).

---

(١) انظر: التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور (٢٧/ ٨٥).

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ابن جرير الطبري (٢٧/ ٤٩- ٥١).

(٣) انظر: الكشاف: جار الله الزمخشري (٤/ ٢٨١).

(٤) انظر: مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي (١٣/ ١٠٢).

(٥) التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور (٢٧/ ٢٣٦).

(٦) انظر: الكشاف: جار الله الزمخشري (٣/ ١٣٦).

وحقيقة السجود وضع الرأس، ولا تعذر في نسبته إلىٰ غير العقلاء، ولا حاجة إلىٰ إثبات حقيقة الرأس في الكل؛ لأن التغليب سائغ شائع[١].

المطلب الثاني: تصوير النجوم بين القرآن الكريم والعلم الحديث

ينبغي التنبيه إلىٰ أن لفظ النجم كان يستعمل في السابق ويراد به الجرم اللامع في السماء دون تفريق غالبًا (في الاستعمال) بينه وبين الكوكب علىٰ اعتبار أنهما يدلان علىٰ جرم لامع في السماء؛ ولكن طريقة القرآن في التعبير عن كل مصطلح كانت مختلفة، كما أن الاصطلاح العلمي للنجم[٢] يتفق مع الطريقة القرآنية في التعبير عنه، ويتفق مع الأصل اللغوي لكلمة نجم والتي تدل علىٰ طلوع وبدو وظهور[٣]، وقد وصف القرآن النجوم بعدة صفات، وبين بعض أنواعها، وجاء العلم الحديث بتأييد القرآن الكريم، ومن أبرز الجوانب التي وافق فيها العلم القرآنَ الكريم، ما يلي:

أولًا: سعة مفهوم الاهتداء بالنجوم:

بالنظر إلىٰ السماء دون أي معلومات عن المجموعات النجمية، تصبح جميع النجوم بالنسبة إلينا نقاطًا مضيئة موزعة عشوائيًا، ولكي يتم تحويل هذه النقاط إلىٰ صور لها معانٍ؛ يجب تحديد مواقع معينة في السماء، أو مجموعة نجمية مشهورة، يمكن الانطلاق منها إلىٰ أماكن أخرىٰ أقل شهرة، وهو الحال ذاته حينما يجد الإنسان نفسه في مدينة لا يعرف فيها شيئًا، ويريد الذهاب إلىٰ مكان ما -جامعة مثلًا أو مستشفىٰ- فأول خطوة يفكر في اتخاذها هي شراء خريطة للمدينة، ثم بعد ذلك تحديد موقعه، ثم موقع المكان الذي يريد الذهاب إليه، وبذلك يستطيع تحديد الاتجاه الذي يسير فيه حتىٰ يصل بسلام[٤].

---

(١) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين الآلوسي (٩/ ٥٧٥).

(٢) النجوم: أجرام سماوية يشع منها الضوء ذاتيًا: انظر: مبادئ علم الفلك الحديث: أ.د عبد العزيز بكري أحمد (٣٨).

(٣) انظر: الجوانب العلمية في سورة الطارق (رسالة ماجستير): جمانة بنت خالد بن عبد الله الشيخ حسين، المشرف: د. عبد الرحمن الشهري (١٣٥).

(٤) انظر: مبادئ علم الفلك الحديث: أ.د عبد العزيز بكري أحمد (٣٨٩).

وكذلك الموقف في السماء، إذا أراد الإنسان معرفة مجموعة نجمية معينة، عليه تحديد مجموعة نجمية مشهورة أولًا، ليحدد اتجاه المجموعة النجمية المطلوب الوصول إليها، وهذا يتطلب خريطة للسماء، تحتوي علىٰ مجموعاتها النجمية، ويُطلق علىٰ المجموعات النجمية التي تُستخدم كدليل: الخرائط النجمية(١).

وبناء علىٰ ما تقدم: الاهتداء بالنجوم لا يقتصر علىٰ توظيفها للاهتداء بها داخل الأرض؛ بل حتىٰ خارج الأرض، أي: الاهتداء بها في السماء.

والنجوم هنا كأنما هي لوحات إرشادية توجه الإنسان، وترشده إلىٰ وجهته التي يبتغيها بدقة؛ لكونها المعالم البارزة في الخارطة السماوية.

ويؤكد علىٰ ذلك عموم الاهتداء الوارد في الآية الكريمة: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦﴾ [النحل]. وتعظيم الاهتداء بالنجم كما سبقت الإشارة إليه، والمقابلة بين علامات الأرض البارزة، وبين علامات السماء.

وهناك ارتباط وثيق بينهما، تم إفراده في فقرة مستقلة. ولا يبعد اكتشاف وجوه جديدة من الاهتداء بالنجوم مستقبلًا؛ ولكن الأمر يحتاج إلىٰ النظر إليها من عدة زوايا، وسبق أن أشار بعض المفسرين إلىٰ أن منافع النجوم أكثر مما تم إيراده.

ويدخل في سعة مفهوم الاهتداء: كون النجوم علامات علىٰ مواعيد ومواقيت أرضية هامة مثل الزراعة وغيرها كما ذكره بعض المفسرين.

ثانيًا: سعة مفهوم تسخير النجوم:

هناك رابطة وثيقة بين الكائنات الحية وبين النجوم، من ناحية العناصر المكونة لكل منهما، ويقال: إن توزيع العناصر في الكائنات الحية علىٰ الأرض يشبه تركيبة النجوم أكثر بكثير من تركيبة الأرض نفسها(٢).

ومن الأمثلة الشهيرة علىٰ الضبط الدقيق لقوانين الفيزياء: عملية إنتاج الكربون في النجوم(٣).

---

(١) انظر: مبادئ علم الفلك الحديث: أ.د عبد العزيز بكري أحمد (٣٨٩).

(٢) البدايات: نيل ديجراس تايسون، ودونالد جولد سميث (٢٢٩).

(٣) انظر: الجائزة الكونية الكبرىٰ (لغز ملاءمة الكون للحياة): بول ديفيز (١٨٣).

ومن المتطلبات الأساسية للحياة؛ وجود مخزون كافٍ من العناصر الكيميائية المتنوعة، ويعد الكربون العنصر الأهم لظهور الحياة[١]. وهو يُنتَج في النجوم كما سبقت الإشارة إليه. وكانت مجموعتنا الشمسية قد تكونت مؤخرًا في تاريخ مجرة درب التبانة، وأدخلت في الكواكب التابعة لها، حتىٰ في أشكال الحياة بها، العناصر الثقيلة التي خلفتها النجوم الميتة منذ أمد طويل[٢].

وهذا يرتبط بتسخير النجوم بأمر الله من أجل حياة الإنسان؛ فيتسع مفهوم التسخير ليشمل علاقة النجوم والعناصر المتكونة داخلها؛ بتكوين الأرض والحياة عليها، وهو أحد وجوه تسخير النجوم للإنسان، والتي لا يُتنبه إليها كثيرًا، ولا يعني ذلك الاقتصار عليه، وهو متفق مع مفهوم التسخير والمنفعة الذي أشار إليه المفسرون، ولا يعارضه وكل ما ورد يثبت سعة مفهوم التسخير.

ثالثًا: الصفات المشتركة بين النجوم وبين الجبال:

اقترنت الجبال بالنجوم في القرآن الكريم في غير ما موضع منه، بالعطف، والمقابلة، وغير ذلك، ومن وجوه الشبه بين النجوم وبين الجبال من خلال دلالة الآيات والأساليب القرآنية وتفسيرها وموافقة العلم الحديث لها:

١- كلاهما يعد معلمًا بارزًا بالنسبة إلىٰ بيئته المحيطة، والجبال في العالم السفلي كالنجوم في العالم العلوي.

٢- كلاهما يساعد علىٰ الاهتداء إلىٰ الوجهة.

٣- كلاهما يحافظ علىٰ استقرار الحياة واستمرارها.

٤- زوال كليهما علامة علىٰ انتهاء الحياة[٣].

٥- كلاهما مكمن قوته من داخله والظاهر لنا منه هو السطح، أو الأثر المترتب علىٰ ما في الأعماق؛ ومصدر طاقة النجوم هو تفاعلاتها النووية بداخلها[٤].

---

(١) انظر: المصدر السابق (١٨).

(٢) أطلس الفضاء (خرائط تفصيلية للكون وما وراءه): جيمس تريفيل (٢٣٠).

(٣) المقصود بالزوال هنا هو ما يكون في آخر الدنيا.

(٤) لتفصيل الحديث عن طاقة النجوم وتفاعلاتها النووية انظر: البدايات: نيل ديجراس تايسون، ودونالد جولد سميث (١٤٦، ١٥١-١٥٢).

وهي داخلة في سعة مفهوم التسخير وتم إفرادها بالذكر؛ لغفلة كثير من الناس عنها.

رابعًا: خضوع النجوم للسنن الإلهية:

سجود النجوم ودقة سيرورتها وانقيادها للسنن الكونية:

يرىٰ علماء الفلك في الكون وحدة متسقة منظمة، وعلىٰ المستوىٰ الأكبر يتسم الكون بالتنظيم والتطابق؛ فالنجوم والمجرات التي تبعد عنا مليارات السنوات الضوئية تشبه بشدة تلك القريبة منا وموزعة بنفس الصورة تقريبًا في كل مكان، وجميعها تتشابه في بنيتها وحركتها، كما يبدو أن قوانين الفيزياء واحدة حتىٰ في أقصىٰ مكان من الفضاء يمكن لأجهزتنا الوصول إليه، باختصار هناك نظام كلي متناغم لا فوضىٰ، وهذه الحقيقة الأساسية مهمة للغاية لوجودنا(١).

وفي هذا دلالة علىٰ خضوع النجوم وانقيادها للسنن الإلهية الكونية، ودقة سيرورتها في نظام لا تحيد عنه، ولا يبعد الكشف مستقبلًا عن دلالات أكثر يعبر عنها سجود النجوم في القرآن الكريم.

خامسًا: النجوم والتسبيح:

إن كثيرًا من الدراسات العلمية الحديثة أثبتت وجود تناغم بين القلب البشري وبين الأحداث الكونية(٢). وهناك دراسات أكدت وجود علاقة وثيقة بين ذكر الله عز وجل، ومنه قول: سبحان الله؛ وبين التماسك القلبي، وأن الصلاة اليومية للمسلمين بالإضافة إلىٰ ذكر الله عز وجل يساعدان في مواجهة التحديات المحتملة في حياتهم، والتحكم في حالتهم العاطفية والنفسية بكل سهولة، وفي أن يكونوا أكثر نجاحًا في مهامهم اليومية(٣).

---

(١) الجائزة الكونية الكبرىٰ (لغز ملاءمة الكون للحياة): بول ديفيز (٣٦).

(٢) انظر: Synchronization of Human Heart Rhythms with Geomagnetic Activity: Rollin McCraty، Ph.D مؤتمر ملك الأعضاء الخامس بالأحساء (٢٤-٢٧) مارس/ ٢٠١٩ م، وقد عُرض في المؤتمر عدد من الأوراق العلمية الأخرىٰ التي تحدثت بهذا الشأن.

(٣) انظر: THE RELATIONSHIP BETWEEN ZIKR (REMEMBRANCE OF ALLAH) HEART COHERENCE AND INTRAPERSONAL COMMUNICATION AMONG MUSLIM POSTGRADUATE STUDENTS FROM DIFFERENT COUNTRIES: Abdul Qahar Sarawari، Mohammad Nabil Abdul Wahab، Journal of Language and Communication، ٥(١) ١٠-١٢٣ (٢٠١٨).

فهل يمكن البناء علىٰ ما تقدم، الربط بين الدراسات السابقة، والانطلاق نحو دراسة جديدة تبحث في الكشف عن وجود علاقة بين وقت إدبار النجوم وبين الأمر بالتسبيح ودوره في تثبيت الإنسان وتماسكه علميًا؟

ودلالة مجموع الآيات القرآنية علىٰ ارتباط الإنسان ببيئته الكونية الكبرىٰ، ومن ذلك النجوم وهي الدلالة التي جاء العلم الحديث بتأييدها والتوكيد عليها.

وهذه بعض أوجه المقارنة بين التصوير القرآني للنجوم وبين ما ورد حولها في العلم الحديث، وتجدر الإشارة إلىٰ أن هناك وجوهًا كثيرة لم يتم إيرادها هنا؛ فقد تمت دراستها في أبحاث أخرىٰ، واقتصر البحث علىٰ هذه الوجوه؛ لأن أكثرها لا يلتفت إليه، أو تمت الإشارة إليه ولكن من زوايا أخرىٰ، فاقتصر علىٰ المواضع التي يتم توظيفها مباشرة في استنباط الهدايات، وإبراز أثرها في تعميق تعظيم الله عز وجل، ويلاحظ استيفاء التصوير القرآني لمعان عديدة ما يزال العلم قاصرًا عن الإحاطة بها.

خلاصة:

١- تنوع أساليب القرآن في حديثه عن النجوم، ومنها: القسم، والالتفات، والاستفهام، والإدماج، وغير ذلك.

٢- تنوع سياق الآيات التي تحدثت عن النجوم، ومنها: التوحيد والقدرة الإلهية، والبعث واليوم الآخر، والنعمة والامتنان والتسخير والاهتداء، وغير ذلك، وهذا التنوع في الأساليب وسياق الآيات وارتباطها بقضايا هامة يبرز:

- تنوع أساليب الخطاب القرآني لمراعاة العقول والأفهام.
- عناية القرآن الكريم بالنجوم وعلاقتها بالحياة الإنسانية.
- تعظيم القضايا المرتبطة بالنجوم ولفت الأنظار إليها.

وقد تشتمل الآية الواحدة علىٰ عدة أساليب، والمراد هنا عرض الأساليب، وبيان تنوعها، وليس القصد من ذلك حصر كافة الآيات، وكذا الشأن في السياقات المتعددة.

٣- مفتاح الكشف عن العلاقة بين النجوم وبين الجبال، هو: الآيات الكريمة واقترانهما فيها، وعلم المناسبات، وقول بعض المفسرين: الجبال في الأرض كالنجوم في السماء، بالإضافة إلىٰ كشف العلم الحديث عن تفاصيل دقيقة عن كل منهما تدعم استنباط أوجه التشابه بينهما.

٤- اهتم المفسرون ببيان سعة مفهوم التسخير، ومفهوم الاهتداء، وضربوا علىٰ ذلك عدة أمثلة، ولا يعني ذلك أن تلك المفاهيم تقتصر عليها؛ بل تشملها وتشمل غيرها، وقد تم إثبات ذلك من بعض ما وصل إليه العلم الحديث.

٥- إن دلالة النجم علىٰ البدوّ والظهور تتناسب مع دلالة الحق، فهو ظاهر بادٍ لا تخطئه الأعين مهما كانت بعيدة عنه، ومن أخطأ السبيل في الوصول إليه فعلىٰ بصره غشاوة أو ران علىٰ قلبه الجحود والإنكار.

٦- التناغم الصوتي في إيقاع الفواصل القرآنية في آيات النجوم، مثل ما ورد مطلع سورة النجم، ومطلع سورة الطارق، وهو مما يعزز أثر الأساليب القرآنية، ويشد السمع والانتباه.

ولما تقررت عظمة الأساليب القرآنية، وتقرر اقترانها بمخلوقات عظيمة مثل النجوم، مع مجيئها في عدة سياقات مرتبطة بالإنسان، بعقيدته وعبادته ومظاهر حياته؛ فإن ذلك كله يتآزر مثبتًا عظمة المقاصد التي لأجلها سيقت هذه الآيات في الصورة التي جاءت عليها، ويؤكد عمق التأثير المرتقب منها والذي يأتي البحث بإبراز شيء منه في المبحث التالي.

المبحث الثاني: أثر التصوير القرآني للعلاقة بين الإنسان وبين النجوم في تعميق تعظيم الله تعالى

ماذا يريد منا القرآن أن نتعلمه ونفهمه حينما يحدثنا عن النجوم؟ وحينما يربطها بنا وبقضايا محورية هامة في كافة الجوانب، مثل الجانب العقدي، والعبادات، والتسخير والامتنان، وغيرها؟ وما هو أثر التصوير القرآني للعلاقة بين الإنسان وبين النجوم في تعميق تعظيم الله تعالىٰ؟

وكيف تتم ترجمة أثر التعظيم؟

إن الإنسان إذا اعتقد شيئًا؛ ظهر من قلبه علىٰ لسانه، وإذا قال؛ ظهر صدقه في مقاله من أحواله وأفعاله، واللسان ترجمان الجنان والأركان برهان اللسان.(١)

المطلب الأول: الموازنة بين الترغيب والترهيب

إن معالجة النفوس بالترغيب والترهيب قضية تربوية تشبه الغذاء اليومي، وهذا الأثر يرتبط بعدة هدايات تُستنبط من التصوير القرآني للعلاقة بين الإنسان وبين النجوم، سواء كان بأساليب القرآن في حديثه عنها أم بسياق الآيات أم بالتوافق بين القرآن والعلم الحديث في هذا الشأن، مما يؤدي إلىٰ توازن التأثير في الإنسان بين الترغيب والترهيب، وبهذه الموازنة يتكامل تعظيم الله تعالىٰ في نفس الإنسان، ويزداد عمقًا، وأبرز هذه الهدايات هي:

أولًا: هدايات الترغيب:

١- الهداية: الإنعام بالعظيم يستوجب شكر المنعم والإقبال عليه.

الإيضاح: تسخير النجوم -علىٰ عظمتها- للإنسان، وإدراكه لهذه النعمة، أدعىٰ للإقبال علىٰ الله عز وجل، وتعظيمه، وشكره علىٰ نعمه، والتوجه إليه بالدعاء، والرغبة فيما عنده من فضل، ولا سيما بعد معرفة سعة مفهوم الاهتداء بالنجوم، وسعة مفهوم تسخيرها، وضرورة وجودها لاستقرار الحياة، واستمرارها.

٢- الهداية: الحفظ يستلزم الاطمئنان التام لعناية الله عز وجل بمخلوقاته.

الإيضاح: حفظ النفس يشمل رعايتها، وحمايتها من المعاطب والمهالك، وهذه الرعاية والحماية قائمة ومنضبطة لا يعطلها أو يحجبها عظم الكون واتساعه، وهذا يستلزم الاطمئنان

(١) انظر: مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي (١٣/ ١٠٢).

التام لرعاية الله عز وجل لشؤون خلقه، وتدبير أمورهم، وتقييض مخلوقاته العلوية والسفلية لنفع الإنسان.

٣- الهداية: عظمة المخلوقات تستوجب تسبيح خالقها العظيم والاستجابة لأوامره.

الإيضاح: إن الأثر المباشر المترتب علىٰ مشاهدة النجوم، والتفكر في عظيم تكوينها، وتدبيرها بأمر الله؛ هذا الأثر هو: التسبيح، سواء كان تسبيحًا منطوقًا، أي بقول: سبحان الله العظيم، أم كان تسبيحًا قلبيًا وعمليًا، بتنزيه الخالق العظيم عن كل ما لا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، وإن كثرة الإشارة إلىٰ النجوم في القرآن الكريم، مع مجيئها في سياق عبادات مخصوصة، أو سنن كونية؛ يُرغّب في الاستجابة للأوامر الربانية، وضبط أداء العبادات - فروضًا وسننًا- من باب أولىٰ، ولا سيما مع معرفة استجابة النجوم -علىٰ عظيم خلقتها- وخضوعها لسنن الله عز وجل، فكيف بالمخلوق الضعيف؟ ولا سيما إذا أثبت القرآن الكريم الآثار الجليلة المترتبة علىٰ هذه الاستجابة، مثل: دور التسبيح في تثبيت الإنسان، ومجيء العلم الحديث مؤيدًا وشاهدًا علىٰ هذه الحقائق القرآنية.

ثانيًا: هدايات الترهيب:

١- الهداية: استشعار مراقبة الله عز وجل في كل حين.

الإيضاح: الحفظ يشمل المتابعة الدقيقة والإحصاء، وهذا يورّث تعظيم الله عز وجل في النفوس، واستشعار شمول علمه ومتابعته، وتدوين الأعمال كلها دقيقها وجليلها، مما يؤدي إلىٰ الرهبة من عقابه سبحانه، وبالتالي اتباع أوامره، واجتناب نواهيه، في السر والعلن.

٢- الهداية: المحاسبة الدقيقة للنفس رهبةً من يوم الحساب.

الإيضاح: اقترنت مراحل نهاية حياة النجوم في القرآن الكريم باليوم الآخر، فدلّت الآيات الكريمة علىٰ أن استقرار هذه النجوم لا يدوم علىٰ حال؛ بل لها أجل تنتهي فيه، وهو يوم القيامة، وهو يوم الحساب والجزاء، والذي توفىٰ فيه كل نفس ما عملت، فعلىٰ الإنسان أن يُحاسب نفسه اتقاء ما في ذلك اليوم من حساب وأهوال.

٣- الهداية: التفكر في المخلوقات العظيمة يورّث الرهبة من خالقها وتعظيمه.

الإيضاح: إدراك عظمة مخلوقات الله عز وجل، يورّث الرهبة من خالقها القادر العليم، الذي بيده مقاليد السماوات والأرض سبحانه وتعالىٰ، وبالتالي تستوجب هذه الرهبة الحذر

من الشرك بالله، وتستلزم الخشية منه سبحانه وتعالىٰ، لا الخوف من مخلوقاته، وبذلك يتكامل الخوف والرجاء.

المطلب الثاني: لفت النظر إلىٰ الدلالة العقلية علىٰ توحيد الله وقدرته وعظمته

تقرر أن الله عز وجل قرن بين السنن الاجتماعية والسنن الكونية؛ لبيان قدرته وحكمته في إدارة شؤون خلقه؛ وليبين للخلق جميعًا أنه المستحق للعبادة [1]؛ فإن اقتران النجوم في القرآن بالإنسان، وما يتعلق بالإنسان؛ لهو دليل علىٰ توحيد الله تعالىٰ، وعلىٰ عظمته، وعلىٰ استحقاقه للعبادة وحده دون سواه، وفيما يلي بيان بعض الأدلة العقلية التي يشير إليها التصوير القرآني للعلاقة بين الإنسان وبين النجوم، وما له من أثر كبير في تعميق تعظيم الله تعالىٰ.

أولًا: إشارة آيات النجوم في القرآن الكريم إلىٰ سبيل معرفة الله عز وجل:

١ - الهداية: يُهتدىٰ بالنجوم في الدلالة علىٰ معرفة الله كما يُهتدىٰ بها في ظلمات البر والبحر.

الإيضاح: قال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنعام]: «المراد: أن هذه النجوم كما يمكن أن يُستدل بها علىٰ الطرقات في ظلمات البر والبحر، فكذلك يمكن الاستدلال علىٰ معرفة الصانع الحكيم، وكمال قدرته وعلمه»[2].

ويؤيّد هذا سعة مفهوم الاهتداء بالنجوم، وقد أشار المفسرون إلىٰ هذا المعنىٰ مع اختلاف عباراتهم.

٢-الهداية: عظمة المخلوق دالة علىٰ عظمة خالقه.

الإيضاح: اقترنت آيات النجوم في كثير من السياقات بقضية الخلق، قال تعالىٰ: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل]، وتعظيم القرآن الكريم للنجوم بأساليب متنوعة، يفيد في الاستدلال علىٰ عظمة خالقها بقياس الأَولىٰ، وهذا واحد من أبرز الآثار المباشرة المترتبة علىٰ التصوير القرآني للنجوم، في تعميق تعظيم الله تعالىٰ.

---

(١) انظر: إعجاز النظم القرآني في اقتران السنن الاجتماعية بالسنن الكونية: د. توفيق بن علي زبادي (٦٦).

(٢) مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي (٧/ ٩٣).

ثانيًا: إشارة آيات النجوم في القرآن الكريم إلىٰ إحكام الكون وإتقانه:

١- الهداية: تسخير النجوم والاهتداء بها برهنة عقلية علىٰ إحكام الكون وإتقانه.

الإيضاح: تسخير النجوم للإنسان والاهتداء بها يعتبر من وجوه الإحكام والإتقان، وحيثما انطلق الإنسان للبحث عن الظواهر الكونية ودلالاتها، والكشف عن منافع النجوم؛ فإن التسخير يتجلىٰ في كثير من جوانبها، بما يؤكد أن هذه المخلوقات لم تُخلق عبثًا ولم توجد صدفة، وهذا يدعم البراهين العقلية الدالة علىٰ إحكام الكون وإتقانه، وبالتالي تعظيم محكِمه ومتقنِه سبحانه وتعالىٰ.

٢- الهداية: الدقة التي تسير بها السنن الكونية دليل علىٰ الإحكام والإتقان.

الإيضاح: لا تقتصر الهدايات علىٰ جانب التسخير والمنفعة؛ بل دقة سير النجوم في سنن كونية لا تختل، ولا تختلف لهو دليل قوي علىٰ إحكام الكون وإتقانه، وهذا يستلزم وجود متقن محكِم، وهو الله عز وجل، وبناء علىٰ ما تقدم: يُعد التصوير القرآني للعلاقة بين الإنسان وبين النجوم؛ رافدًا هامًا من روافد دليل الإحكام والإتقان.

ودليل الإحكام والإتقان هو: أحد أهم الأدلة العقلية علىٰ وجود الله تعالىٰ، وحكمته، وكمال علمه، وهو ينطلق من مقدمتين هما: أن الكون محكم متقن، وأمارات العناية والرعاية ظاهرة فيه، وهذا الإحكام والإتقان يستدعي وجود فاعل عليم حكيم خلقه علىٰ هذه الهيئة من الإتقان، والنتيجة هي: الله تبارك وتعالىٰ هو الخالق العليم الحكيم الذي خلق الكون، وهناك براهين كثيرة علىٰ مقدمات هذا الدليل، وعدد من المفاهيم العلمية الدالة علىٰ الإحكام والإتقان، ومنها: المعايرة الدقيقة لهذا الكون[1].

خلاصة:

يوازن القرآن حياة الإنسان بين الترغيب والترهيب، ومن وسائل هذه الموازنة الاستدلالُ بما في الكون من مخلوقات وإيرادها في سياق المنفعة وصالح الإنسان وسيرورته مع السنن الكونية لجميع المخلوقات بما يجعل عظمة الله تزداد عمقًا في قلبه، وبالتالي يكون أدعىٰ للإقبال علىٰ خالقه، وكذلك إيراد تلك المخلوقات في سياق التذكير بالبعث والحفظ الدقيق بما يشعر الإنسان بعظمة خالقه ومراقبته له في السر والعلن.

---

(١) انظر: شموع النهار: م. عبد الله العجيري (١٧٤-١٧٧).

الاستدلال علىٰ هذه الهدايات عن طريق:

إشارة القرآن الكريم إليها، والسياق الذي وردت فيه، ودلالة الأساليب القرآنية التي تحدثت عن النجوم، والتناسب المتقرر بين الآيات وبعضها البعض وبين مطالع السور وخواتيمها، والتناسب بين القسم وبين جوابه، ومناسبة الهداية لمقاصد القرآن الكريم، وما ذكره المفسرون في هذه الآيات مما سبقت الإشارة إليه في المبحث الأول، وكذلك بعض الإشارات العلمية التي تُظهر سعة دلالات الآيات الكريمة، وما يترتب علىٰ معرفتها من تعميق تعظيم الله تعالىٰ.

الخاتمة

أولًا: النتائج:

١- ظهور العلاقة التكاملية بين الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وبين الهدايات القرآنية.
٢- بيان تنوع الأساليب والسياقات التي وردت في حديث القرآن عن النجوم، وارتباطها الوثيق بتعظيم الله عز وجل، وتوحيده، وتعزيز مقاصد كتابه الكريم.
٣- التأكيد علىٰ شمولية التصوير القرآني، في استيعاب المعاني، والمفردات، والمخاطبين علىٰ اختلاف عقولهم وأفهامهم، وأنماط تعلمهم.
٤- البرهنة علىٰ سعة مفهوم تسخير النجوم والاهتداء بها علميًا.
٥- الكشف عن حكمة اقتران الجبال بالنجوم في القرآن الكريم، وبعض أوجه التشابه بينهما.
٦- الكشف عن الهدايات القرآنية والآثار المترتبة علىٰ التصوير القرآني للعلاقة بين الإنسان وبين النجوم، والمتمثلة في تحقيق الموازنة بين الترغيب والترهيب، ودور هذا التصوير القرآني في الاستدلال العقلي علىٰ توحيد الله عز وجل، وبالتالي تعميق تعظيم الله تعالىٰ.
٧- ظهور مؤشرات علىٰ وجود ارتباط بين التسبيح والصلاة وبين إدبار النجوم، بناء علىٰ ربط القرآن الكريم بينهما، ثم بناء علىٰ بعض الدراسات العلمية التي أكدت علىٰ الصلة الوثيقة بين الإنسان وبين الكون، وعلىٰ أثر ذكر الله في التماسك القلبي؛ ولكن لم يتم الوقوف علىٰ دراسة علمية مخصصة للكشف عن علاقة التسبيح بإدبار النجوم.

ثانيًا: التوصيات:

١- توسعة البحث في الهدايات القرآنية المستنبطة من حديث القرآن عن النجوم، في دراسة تحليلية موضوعية شاملة لآياتها كلها.
٢- تشجيع البحث العلمي لاستكشاف وجوه جديدة من تسخير النجوم للإنسان.
٣- البحث عن الشمس وعلاقتها بالإنسان كما صورها القرآن الكريم في بحث مستقل.
٤- دراسة ميدانية تكشف عن علاقة التسبيح والصلاة بوقت إدبار النجوم، لقياس أثر التعظيم.
٥- المواءمة بين القرآن الكريم وبين التخصصات العلمية المختلفة، وجعله مصدرًا يهتدىٰ به ومُنطلقًا في توسعة أفق الفكر الإنساني ورحابة منهجه.

وختامًا: الحمد لله علىٰ تمام توفيقه وهدايته، وما كان في هذا العمل صوابًا فمن الله وحده، وما كان خطأ فمن نفسي والشيطان، والله الموفق والهادي إلىٰ سواء السبيل، وهو أعلىٰ وأعلم، وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

فهرس المصادر والمراجع

١- أطلس الفضاء (خرائط تفصيلية للكون وما وراءه): جيمس تريفيل، ترجمة: هند صابر مهدي، مراجعة: بانسيه أحمد العطار، دار نهضة مصر للنشر- ترخيص من ناشيونال جيوغرافيك، طبعة ٢٠١٦ م.

٢- إعجاز النظم القرآني في اقتران السنن الاجتماعية بالسنن الكونية: د. توفيق بن علي زبادي، دار الحضارة للنشر والتوزيع، مركز تدبر للدراسات والاستشارات، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

٣- إعراب القرآن وبيانه: محيي الدين الدرويش، دار اليمامة، دمشق – بيروت، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة الحادية عشرة، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م.

٤- البدايات: نيل ديجراس تايسون، ودونالد جولد سميث، ترجمة: محمد فتحي خضر، كلمات للنشر والتوزيع، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠١٥م.

٥- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.

٦- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ م.

٧- تفسير البحر المحيط: أبو حيان، تحقيق: عادل أحمد وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

٨- تفسير جزء عمّ: محمد متولي الشعراوي، دار الراية للنشر والتوزيع، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٩- الجائزة الكونية الكبرىٰ (لغز ملاءمة الكون للحياة): بول ديفيز، ترجمة: محمد فتحي خضر، مراجعة: حسام بيومي محمود، كلمات للترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠١٣ م.

١٠- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري، طبعة مقابلة علىٰ الأجزاء المطبوعة بتحقيق الأستاذ محمود شاكر، اعتنىٰ بتصحيحه وفهرسته: مكتب التحقيق والإعداد العلمي في دار الأعلام، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، دار الأعلام، عمّان – الأردن، الطبعة ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢.

١١- الجوانب العلمية في سورة الطارق (رسالة ماجستير): جمانة بنت خالد الله الشيخ حسين، المشرف: د. عبد الرحمن بن محمد هشبول الشهري، جامعة الملك فيصل، ١٤٣٧ هـ.

١٢-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين الآلوسي، تحقيق: أبي عبد الرحمن فؤاد بن سراج عبد الغفار، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ٢٠٠٨م.
١٣-السماء في القرآن الكريم: د. زغلول راغب النجار، دار المعرفة، بيروت – لبنان، الطبعة الخامسة، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
١٤-شموع النهار (إطلالة علىٰ الجدل الديني الإلحادي المعاصر في مسألة الوجود الإلهي): م. عبد الله بن صالح العجيري، تكوين للدراسات والأبحاث، الطبعة الثانية، ١٤٣٨هـ – ٢٠١٨م.
١٥-عظمة القرآن الكريم: محمود بن أحمد بن صالح الدوسري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٦ هـ.
١٦-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: جار الله الزمخشري، وبهامشه: الانتصاف للإمام ابن المنيّر، تحقيق: الشربيني شريدة، دار الحديث، القاهرة، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.
١٧-مبادئ علم الفلك الحديث: أ.د عبد العزيز بكري أحمد، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولىٰ ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م، الطبعة الثانية ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.
١٨-مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي، تحقيق: سيد عمران، دار الحديث، القاهرة، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢ م.
١٩-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين البقاعي، تحقيق: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م.
٢٠-الواضح في علوم القرآن: د. مصطفىٰ ديب البغا، ومحيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، دار العلوم الإنسانية، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٨ ه – ١٩٩٨ م.
٢١- Synchronization of Human Heart Rhythms with Geomagnetic Activity: Rollin McCraty، Ph.D مؤتمر ملك الأعضاء الخامس بالأحساء، ٢٤-٢٧ مارس/ ٢٠١٩ م.
٢٢- THE RELATIONSHIP BETWEEN ZIKR (REMEMBRANCE OF ALLAH)، HEART COHERENCE AND INTRAPERSONAL COMMUNICATION AMONG MUSLIM POSTGRADUATE STUDENTS FROM DIFFERENT COUNTRIES: Abdul Qahar Sarawari، Mohammad Nabil Abdul Wahab، Journal of Language and Communication، ٥(١)، ١١٠-١٢٣ (٢٠١٨).

فهرس الموضوعات

المقدمة ٢

التمهيد: العلاقة بين الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وبين الهدايات القرآنية ٥

المبحث الأول: التصوير القرآني للعلاقة بين الإنسان وبين النجوم

المطلب الأول: أساليب القرآن الكريم في حديثه عن النجوم وسياق آياتها ٦

المطلب الثاني: تصوير النجوم بين القرآن الكريم والعلم الحديث ١٩

المبحث الثاني: أثر التصوير القرآني للعلاقة بين الإنسان وبين النجوم في تعميق تعظيم الله تعالىٰ

المطلب الأول: الموازنة بين الترغيب والترهيب ٢٥

المطلب الثاني: لفت النظر إلىٰ الدلالة العقلية علىٰ توحيد الله وقدرته وعظمته ٢٧

الخاتمة ٣٠

فهرس المصادر والمراجع ٣٤